المفارقة بين المفهوم و الاصطلاح

د- رقيق كمال
كلية الآداب واللغات
جامعة بشار - الجزائر

الملخص:

قد يتنوع الخطاب تنوعاً لا حدود له ، وتتخذ المنطوقات أشكالاً بنائية وموضوعية وفيرة ، فقد تكون غير مباشرة ، وقد تكون واضحة ، أو شاذة ، أو تهكمية ، أو ساذجة لا تخلو من الحمق ،والمفارقة واحدة من الإمكانات الأسلوبية ، فهي طريقة من طرائق استخدام اللغة في السياق النّصي ، السياق خارج النص ؛ وهو ما سنلقي الضوء عليه من خلال هذا البحث الذي سوف أوضح فيه مفهوم مصطلح المفارقة وتأصيل استخداماته الأدبية واللغوية عند العرب.

Résumé :

Le discours peut prendre diverses formes tantôt explicites ou implicites , tantôt simples , naïves et même ironiques relevant de l' une des figues de style dans ce modeste travail , j' essayerai de mettre exergue la nation de l' ironie ainsi que son usage et son authenticité dans la langue arabe **.**

الكلمات المفتاحية: المفارقة; المصطلح; المفهوم; البلاغة; اللغة; العربية.

أولاً – المفارقة لغةً :

في البداية يجب علينا أن نعرّج على المعاجم العربية (القديمة والحديثة) بغية الوقوف على ما له صلة بمعاني هذه اللفظة بمختلف صيغها واشتقاقاتها .. انطلاقاً من الجذر الثلاثي للفظة (ف ، ر ، ق)، إذ نقرأ في تضاعيف سطور بعض المعاجم ما نصّه :- "الفَرْقُ: تفريقٌ بين فَرْقاً حتى يَفترِقَا ويتفَرَّقا، وتَفارَقَ القومُ وافترقوا: أي فارَقَ بعضُهم بعضاً ، ونقرأ أيضاً : الفُرقان : كل كتاب أُنزِلَ به فَرْقُ اللهِ بين الحق والباطل[1] "، قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإنجيل . مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً﴾[3] أي حُجة ظاهرة على المشركين، وظَفَراً، وممّا له صلة بهذا المعنى جاء في التنزيل العزيز: ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً﴾[4] أي الملائكة تُنَزّل بالفرق بين الحلال والحرام.

ويقول ابن دريد في الجمهرة : (الفرقان : القرآن، وكل ما فُرِقَ به بين الحق والباطل، فهو فرقان)[5] ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾[6] وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾[7]وهو يوم بدر، لأن الله سبحانه وتعالى أظهر نصره ما كان مفرقاً بين الحق والباطل.

وقال الرازي في الصحاح: (الفرقان : من أسماء القرآن، أي أنه فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام) ،أمّا (الفاروق من الناس، فهو الذي يفرق بين الأمور ويفصلها، من قولنا : فَرَقَ فَرْقاً وفُرْقاً بالضم، أي فصل)[8].

والمفارقة اسم مفعول لـ(فارق) من الجذر الثلاثي (فَرَقَ)، ومصدرها (فَرْقٌ)، بتسكين الراء. والفرق خلاف الجمع، وهو تفريق بين شيئين، ومفرق الطريق متشعبه الذي يتشعبُ منه طرق أخرى، ويقال : (فارق الشيء مفارقة وافترقا أي باينه[9].

وجاء في المعجم الوسيط : (فَرَقَ بين الشيئين، فَرْقاً، وفرقاناً : فصل وميّز أحدهما عن الآخر، وبين الخصوم : حكم وفَصَلَ[10]، ومما يؤكد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[11] وبين المتشابهين، بيان أوجه الخلاف بينهما ، وقيل : (الفَرْقُ) بين الأمرين : المميّز أحدهما من الآخر.

وفي مختار الصحاح، نطالع ما نصّه (فَرَقَ بين الشيئين من باب نَصَرَ، وفرقاناً أيضاً فَرّق الشيء تفريقاً .. وأخذ حقه منه بالتفاريق.[12]

من خلال تصفحنا للمعاجم العربية قديمها وحديثها، نخلص إلى أنّ المفارقة هي الفرق والافتراق والفصل والتباعد والتباين والتمييز بين شيئين أو أمرين أو موقفين .. لا سيما إذا كان هذان الأمران على طرفي نقيض، أو أن أحدهما خلاف الآخر، أو بالضد منه .. ولعل هذا المعنى يبقى أحادياً، ما لم يردف بالمعنى الاصطلاحي بالمفارقة حتى يستقيم طرفا المعادلة –أي المفارقة– من كلتا زاويتي الرصد.

ثانياً – المفارقة اصطلاحاً:

إنّ المعنى الذي أمدتنا به المعاجم العربية، هو مرتكزنا في البحث عمّا ينضوي من معانٍ تحت مصطلح المفارقة في المظان الأدبية العربية من جهة، والدراسات الغربية من جهة أخرى.

أَمّا ما جاء في كتبنا العربية بشأن المفارقة فحسبنا أن نسبر أغوار المظان الأدبية والنقدية بحثاً عما يفضي إلى بلورة مصطلح المفارقة إذ يتضح لنا خلو هذه المظان من لفظة (المفارقة) نفسها .. ظافرين بما يندرج تحت دلالاتها ومعانيها .. فقد أورد الجاحظ (ت 255 هـ) لنا قولا نصه " لو أَن رجلين خطيا أو تحدثا ، أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلاً جليلاً بَهيّاً ، ولباساً نبيلاً ، وذا حسب شريفاً ، وكان الآخر قليلاً قميئاً، وباذِّ الهيئة ذميماً، وخاملَ الذكر مجهولاً، ثم كان كلامهما في مقدارٍ واحدٍ من البلاغة، وفي وزنٍ واحدٍ من الصواب ، لتَصدَّع عنهما الجمع وعامتهمُ تقضي للقليل الدَّميم على النبيل الجسيم ، وللباذَّ الهيئة، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه به، ولصار التعجَّب منه سبباً للتعجب بهِ، ولصار الإكثار في شأنهِ عَلَّة للإكثار في مدحهِ، لأَنَّ النفوس كانت له أحقر ومن بيانهِ أيأسِ ومن جسدهِ أبعد، فإذا هجموا منه على ما لم يكونُوا يحتسبُونه، وظهر منه خلافُ ما قدَّرُوه، تضاعفَ حُسْنُ كلامه في صدورهم ، وكبرُ في عيونهم ، لأَنَّ الشيءَ من غير معدنه أغرب وكلما كان أغرب كان أبْعد في الوهم ، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب ، وكلما كان أعجب كان أبدع"[13]، لو قصد الجاحظ أن يفصل في المفارقة مصطلحاً نقدياً لما كان أكثر دقةً وأشدُّ وضوحاً مما ذكر ، ولكنه كان يفصل في بابِ البلاغة وتعريفها، وهي أقرب ما تكون لدلالة المفارقة.

وعالج ابن قتيبة (ت 276 هـ)) ظاهرة التطيُّر والتفاؤل عند العرب من زاوية رصد مقارب للمفارقة ، وذلك ما نقله عن الأصمعي: " سألت ابن عَوْف عن الفأل فقال : هو أن تكون مريضاً فتسمع : يا سالم ، أو باغياً فتسمع يا واجد[14] ". ونجد في كتاب البديع لابن المعتز (ت 296 هـ) نصوصاً شعرية ونثرية ، تزخر بأنواع الفنون البديعية ، والتي

تقترب إلى مفهوم المفارقة ، منها ما ورد في الباب الأول من البديع وهو الاستعارة ، حيث ذكر لنا نصاً لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) جاء فيه : "وقال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه وذكر الملوك فقال إنَّ إذا ملك أحدهم زهده الله في ماله ورغبهُ في مال غيره وأشرَبَ قلَبهُ الإشفاق وهو يحسدُ على القليلِ ويتسخّط الكثير جذلُ الظاهر حزين الباطن فإذا وجَبَتْ نفسه ونضب عمره وضحا ظلّه [حاسبه الله عزّ وجلّ] فأشدّ حِسابَه وأقلّ غَفْرَه[15] ". يعرض لنا النص حالتين متضادتين هما زهد الملك في ماله ، وإقباله على مالِ غيره ، وهذا الموقف يكون بدافع من الله عز وجل ،هذا التضاد الظاهر هو مفارقة صنعها الله ، " من وجهة النظر هذه يكون المثل الأعلى لصاحب المفارقة هو الله إنَّه صاحب مفارقة دون منازع لأنه عليم ،قدير ، متعال ، مطلق ، لا يحدّه حدّ ، طليق . والمثل الأعلى للضحية ، على نقيض ذلك ، يُرى متورطاً مغموراً في الزمن والمادة ، أعمى ، طارئاً ، مجدداً غير طليق . مطمئناً في عدم وعيه إن هذه هي ورطته" [16] . ثم نجده يحسد على القليل ، ويسخط الكثير.. فرح في ظاهره ، حزين في باطنه ، التناقض الشعوري للملك والذي أفرزه منصبه، هو مفارقة شعورية لأن " المفارقة شكل من النقيصة " [17] ، وفي نهاية المطاف يكون حسابه عند الله عسيراً ، والأمل في الغفران قليلاً ، والله أعلم هنا أحداث متناقضة تصطبغ بالكآبة وتنتهي بموقف مأساوي . يقول (كونوب ثرلوال): " التناقض بين الإنسان بآماله ومخاوفه وأعماله وبين القدر المظلم العنيد يقدم مجالاً واسعاً للكشف عن المفارقة المأساوية "[18] . وضمن هذا الإطار المفارقة المأساوية القدرية ذكر ابن المعتز في موضوع الطباق قول سهل بن هارون بما نصه : " من طلب الآخرة طلبَتْه الدنيا حتَّى توُفر رَزقه منها ومن طلب الدنيا طلبه الموتُ حتَّى يُخْرِجَه منها" [19] ، فالقدر يلاحق الإنسان ، فإذا طلب الدنيا وهب له الموت ، وإن أراد الموت وهبت له الدنيا.

وهناك مصطلحات بلاغية عربية قد لامست بعض دلالات مصطلح المفارقة، من ذلك التعريض في رأي ابن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) القائل : " ومن أفضل التعريض مما يجل عن جميع الكلام قول الله عز وجل : (ذُقْ إنك أنت العزيز الحكيم) أي : الذي كان يقال له هذا ، أو يقوله وهو أبو جَهْل ، لأنه قال: ما بين جبليها . يعني مكة أعَزُّ مني ولا اكرم ، وقيل : بل ذلك على معنى الاستهزاء به " [20] . لقد كان موقف أبي جهل ، موقف مفارقة كوميدية، نهايتها مظلمة ، وقد أوضح ابن رشيق ذلك من خلال تعليقه على الآية الكريمة . وفي باب التشكيك يذكر قول زهير بن أبي سُلمى :-

وَمَا أَدْرِي وَسَوفَ إخالُ أَدري أَقومُ آلَ حِصنٍ أمْ نساءُ
فإن تَكُن النسَاءُ مخبآت فَحقَّ لِكُلِ محُصَنةٍ هداءُ[21]

ثم يعلق عليها قائلاً: " فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء، وهذا أملح من أن يقول هم نساء، وأقرب إلى التصديق " [22] ، وهذا أقرب ما يكون إلى المفارقة السقراطية[23]، ويعرض لنا عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ) في فصل التشبيه المعقود على أمرين وليس بتمثيل مفهوما يقارب المفارقة فيقول : " ومثال ما يجئ فيه التشبيه معقوداً على أمرين إلاَّ أنهما لا يتشابكان هذا التشابك قولهم (هو يصفو ويكدر ويمر ويحلو ويشج ويأسو ويسرج ويلجم) لأنك وإن كنت أردت أن تجمع له الصفتين فليست إحداهما ممتزجة بالأخرى " [24]، فالأمر عنده عرض صفتين متضادتين ، لغرض إحكام

التشبيه المعقود على أمرين ، والحقيقة أنَّه عرض : "نظرة في الحياة تجد الخبرة عرضة لتفسيرات متنوعة ، ليس فيها واحدة صحيحة دون غيرها، وذلك لأن التنافرات جزء من طبيعة الوجود"[25]

. أمّا ابن الأثير (ت 637 هـ) فقد عرف التعريض بأنه " اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي أو المجازي"[26]، ومن هنا يتضح أن فهم التعريض هو الأساس، وهذا المفهوم يقارب مفهوم المفارقة، حيث لا مفارقة إن لم يدرك المتلقي أبعادها ويفك رموزها، وقد أورد ابن الأثير قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيم . قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُون﴾[27]، معلقاً على ذلك بقوله :"غرض إبراهيم عليه السلام من هذا الكلام إقامة الحجة عليهم لأنه قال : فاسألوهم إن كانوا ينطقون، وذلك على سبيل الاستهزاء "[28].

فالمفارقة هنا ضرب من التأنّق، من الناحية الأسلوبية، وهدفها الأول كما يقول (ماكس بيريوم) : " إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيراً . وصاحب المفارقة المتمرّس يستعمل من الإشارات أقلها"[29] ، وسيدنا إبراهيم (عليه السلام)أراد إيصال فكرة أو رسالة فحواها أنكم تعبدون ما لا ينفع ولا يضر، وهذه العبادة بحد ذاتها مفارقة ، يقول ميويك : " عندما تكون الصورة فكرية أو أدبية سواء بالإفصاح عن قول أو بإيصال رسالة فإنها عند ذلك تتصف بالمفارقة "[30].

وفي باب تجاهل العارف عند ابن أبي الإصبع المصري (ت 654 هـ) جاء ما هو قريب من مفهوم المفارقة السقراطية إذ يقول : " وهو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه به ليُخرج كلامه مخرج المدح أو الذَّم ، أو ليدلَّ على شدة التدَّلُّه في الحب، ولقصد التعجب، أو التقرير، أو التوبيخ " [31] ، ونجد أيضا تأكيد المدح بما يشبه الذم يدخل أيضا تحت خيمة المفارقة وقد عالجه نُقادنا وعلماؤنا ، وهكذا تُضيء مصادرنا القديمة بالكثير من الأساليب البلاغية التي تجمع بين النقيضين ، والتي تدخل في إطار مفهوم المفارقة .

وإذا تفحصنا الدراسات العربية الحديثة التي تناولت المفارقة مصطلحاً نقدياً، فسنرى أن بعضاً منها أضاف لبنةً في بناء هذا المصطلح ، مما جعله أكثر وضوحاً في الذهن، وبعضها الآخر بدا المصطلح فيها غامضاً.

ففي بحث أنجزته الدكتورة نبيلة إبراهيم عن المفارقة ، وعنوانه (المفارقة) ، أكدت فيه أن الدعامة الأساسية للمفارقة ، هو إقامة علاقات ذهنية بين الألفاظ[32]، وأغنت المفارقة بإيراد أقدم نص عربي ورد فيه مصطلح المفارقة ، ويعود إلى الشيخ حسن الالآتي رحمه الله ومولدُ هذا النص عام 1889م[33].

وفي دراسة مستفيضة لشعر ابن سناء المُلك للدكتور عبد العزيز الأهواني نقرأ ما نصّه: "إنّ ما نُسميه بالمفارقة إنَّما هو تسجيل التناقض بين ظاهرتين لإثارة تعجب القارئ دون تفسير أو تعليل "[34]، وفي موضع آخر يوضّح أن المفارقة في الشعر العربي كثيرة بعضها ينبع عن إحساس صادق والآخر يجنح إلى التفكير العقلي حيث تكون المفارقة مزيجاً بين العاطفة والعقل[35].

أمّا دراسة الدكتور عبد الله الغذامي فتتميز بالجوانب التطبيقية للمفارقة مقارنة بالجوانب التنظيرية، التي جعلت من الآلية الثنائية (المداخلة / المفارقة) أساساً تنطلق منه لتشكل المفارقة عن طريق التناص[36] ، أمّا الدكتور مصطفى السعدني فهو يؤكد إمكانية تحقيق المفارقة على المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية والإيقاعية[37] .

والدكتور محمد لطفي اليوسفي ، يعدُّ المفارقة جوهر الحداثة والانفتاح ، لأنَّها وحدها قادرة على إقامة عالم جديد مُخيل على أنقاض عالم الواقع المعيش ، وهذا الانهدام لعالم الواقع والبناء في عالم الخيال هو خطوة ضرورية ودقيقة في طُرق التغيير[38] كما يتناول الدكتور عبد الهادي خضير المفارقة في دراستين غنيتين على إيجازهما، يتجاوز فيهما المفهوم الشائع للمفارقة بوصفها صياغة لغوية قائمة على تناقض بين معنى ظاهر و آخر خفي ، كما أكد أهمية المفارقة في رفع مستوى النص الشعري ، وضرورة أن يوازن الشاعر في مفارقاته بين العقل والمشاعر ، وهو يعدُّ المفارقة عملاً عقلياً ، والشعر وليد الأحاسيس والمشاعر[39] ، وخلص من دراسته إلى تعريف للمفارقة هو : " تعبير لغوي بأسلوب بليغ يهدف إلى استثارة القارئ وتحفيز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهري المتناقض للعبارة ، والوصول إلى المعاني الخفية التي هي مرام الشاعر الحقيقي" [40].

وترى سيزا قاسم في المفارقة : " لعبة عقلية من أرقى أنواع النشاط العقلي وأكثرها تعقيداً" [41]، وفي بحث الدكتور أحمد إسماعيل النعيمي (المفارقة موضوعاً شعرياً . قبل الإسلام) ما يمكن أن نعدّهُ نواة دراستنا هذه . إن شاء الله ، لكونه يرى في المفارقة ما يراه ميويك ، وفي بحث الدكتور أحمد النعيمي نطالع رأياً مستنبطاً من مجمل أراء النُقاد الغربيين والعرب ، فضلاً عن المعاجم العربية وخلاصته " أنّ المفارقة تقدم بلا تحيز وجهتي نظر متعادلتين متعارضتين .. وإن التفريق هو أبرز ما يتخذ صفة المفارقة " [42] ، والجديد الذي نظفر به في دراسة النعيمي هو أنَّه عَدّ الأديب أو الشاعر: " هو المفرِّق بين شيئين أو أمرين أو موقفين ، متعارضين في المظهر وواقع الحال، أو السطح والعمق، أو الغشاوة والصفاء ، وقيل إن المفارقة تكون أشد وقعاً عندما يشتد التضاد أو التنافر أو التناقض فضلاً عما يفضي إليه هذا التفريق ، من هزئ وسخرية وتهكم ، وتلميح ومعانٍ أخرى، وذلك بصيغة فنية تستحوذ على انتباهنا على الشكل والمحتوى ، وتثير فينا إحساسا بالمفارقة يستقطب القناعة ، ويحقق التأثير والاستجابة والمتعة ، وهنا يكمن المعنى الأدبي للمفارقة " [43]. أمّا الدكتور خالد سليمان في دراسته (المفارقة والأدب) فيرى في المفارقة جانبين نظرياً وتطبيقياً ، في الأول اعتمد اعتماداً كلياً على دراسة ميويك (المفارقة وصفاتها) ، فهو يوافقه في كل ما ذهب إليه وما عرضه من آراء النُقاد الغربيين ، بالتعريف بالمفارقة ، وأنماطها ، وتأثيرها في المتلقي ، دون أن يذكر رأيه صراحةً في ذلك، وفي الجانب الثاني من دراسته كان تطبيقياً ، في مجال الشعر والرواية والمسرح[44]،ولا يفوتنا أن نذكر أطروحة قيس حمزة فالح الموسومة ب: (المفارقة في شعر الروّاد) ومفهومه لها إنَّها " مبادرة متفجرة من رؤيا الشاعر ، لها وظيفة فنية إثرائية ، قادرة على منح الشاعر الذي يقتنصها ويشكلها تشكيلاً فنياً .. والمفارقة وسيلة أسلوبية تعزز التلقي وتنميه "[45]، وأطروحة محمد ونان جاسم وعنوانها: (المفارقة في القصص الستيني العراقي) ، وقد ورد فيها ، أنَّ " المفارقة بنية أسلوبية موضوعها الأساس هو التضاد ، ووظيفتها الرئيسة هي تحقيق الدهشة لدى المتلقي من خلال كسر توقعاته ، وتحتل حداً فاصلا بين ضدين ، وتفصح عن نفسها من دون أن تذكر صراحة، بل يلجأ القول المفارق إلى التلميح والإشارة " [46] ، وفي دراسة جامعية لإلهام مكي نقرأ فيها أنَّ المفارقة " سمة أسلوبية أساسها عقد علاقات متضادة .. وتمثل أداة منهجية للكشف عن شعرية النص الأدبي .. وللمفارقة شكلان رئيسيان هما : المفارقة اللفظية ومفارقة الموقف .. أمّا أنواعها وتشكلاتها الأخرى فتنطوي تحت هذين الشكلين " [47].

ويذكر ميويك أن أول ظهور لكلمة (ايرونيئيا) –eironeia– كان في جمهورية أفلاطون،إذا أُطلقت اللفظة على سقراط من قبل أحد الذين يهاجمهم، وقد ظهر بمظهر الجاهل الذي يسأل عن أشياء يدعي الجهل بها[48]. واللفظة يونانية الأصل تعني " أن يتظاهر الشخص بأنَّه أحمق مما هو عليه وتدل أيضاً على أنها صفة شخصية في الكوميدية الإغريقية باسم ((آيرون)) –Irony– وتفيد المفرق، أي الذي يفرق بين المظهر وواقع الحال" [49].

والغربيون نقاداً وباحثون أشبعوا مصطلح المفارقة دراسةً وبحثاً، وطغت على دراساتهم وبحوثهم و ظهرت أيضا في عالم النقد الأدبي المعاصر، فهي عندهم ضرورة لابد من وجودها في دنيا الفن عموماً، ودنيا الأدب على وجه الخصوص، وهذا الوجود يتحدد بمقدار الفائدة والجمالية التي تضيفها المفارقة على النص، وفي هذا الشأن يقول (غوته): "إنِّ المفارقة هي ذرة الملح التي وحدها تجعل الطعام مقبول المذاق"[50] ، وفي المعنى ذاته يقول (اناتول فرانس):" إن عالماً بلا مفارقة يشبه غابة بلا طيور" [51]، أما إغراق النص بالمفارقة فيجعله مترهلاً مشوهاً، ولاسيما :أن المفارقة عملية عقلية، والشعر يعتمد الإحساس ويخاطب المشاعر، ولذا نجد ميويك يعقب على قول (فرانس):– " ولكننا لا نريد لكل شجرة أن تحمل من الطيور أكثر ممّا تحمل من الأوراق"[52].

إذاً التوازن ضروري وحيوي بين العقل والمشاعر لصنع مفارقة مقبولة جميلة تلمس مشاعرنا وعقولنا،ثم أن المفارقة نفسها أداة توازن حيث " تبقى الحياة متوازنة أو سائرة بخط مستقيم، تُعيد إلى الحياة توازنها عندما تحمل على محمل الجد المفرط،أولا تحمل على ما يكفي من الجد، كما تظهر بعض المؤلفات المأساوية ، فتوازن القلق، لكنها كذلك تُقلق ما هو شديد التوازن" [53] ، وبعضهم يرى أنَّ المفارقة ومنها – المفارقة المأساوية– هي نتيجة حتمية للصراع الأزلي بين الإنسان وقدره، في محاولة منه لإثبات وجوده في هذا الكون المخيف المؤلم ،يقول(كونوب ثرلوال) عن ذلك :–" إنَّ التناقض بين الإنسان وآماله ومخاوفه وأعماله والقدر المظلم العتيد يقدم مجالاً واسعاً للكشف عن المفارقة المأساوية" [54] ، أمّا (أ.ر. تومبسن) فيرى :" أن المفارقة لا تكون مفارقة إلا عندما يكون أثرها مزيجاً من الألم والتسلية " [55] ، هذا المزيج بين الألم والمرح بحد ذاته مفارقة ،ومن ثمَّ فإن ما يخرج عن هذا المزيج مفارقة مأساوية حادة، أمّا دلالة المفارقة عند (توماس مان) فهي تجمع بين المعاني المتضادة وأحيانا لدرجة عالية من التضاد كونها "شيطانية وإلهية معاً، عدمية وشاملة،موضوعية وودية" [56]في آنٍ واحد.

أمّا دعاة البلاغة فقد جعلوا للمفارقة مفهوماً بلاغياً، من حيث إفادتها "إحداث أبلغ الأثر بأقل الوسائل تبذيراً " [57]، هذا فضلا عن صياغتها صياغة فنية تسحوذ على انتباه المتلقي ، وتثير إحساسه وتكسب قناعته أو تحقق له المتعة والفائدة والتأمل، إذ أن المفاجأة والدهشة عنصران مهمان في تكوين المفارقة ، فالمفاجأة ولحظة هتك الحُجب عند المتلقي، تُظهر العالم المألوف برؤية جديدة ، لكونها صياغة جديدة لعالم الشاعر والمتلقي في آنٍ واحد.

ثم أنّ التوقع والانتظار هما جوهر التقنية الجمالية للمفارقة، فكلما زاد الفرق بين ما يتوقع حدوثه وبين ما يحدث فعلاً تبدو المفارقة أكثر وضوحاً وأعمق أثراً، فشدة التضاد والتنافس بين وجهتي النظر المعروضتين ، تدفع المفارقة إلى ذروتها الفنية والفكرية ، يقول ميويك في هذا الشأن :" إنَّ المفارقة تقدم بلا تحيز وجهتي نظر متعادلتين متعارضتين .. وأن

التفريق هو أبرز ما يتخذ صفة المفارقة " [58]، هذا المفهوم أو التعريف للمفارقة أكثر ما يهمُنا، لأنه يوصلنا إلى ماله علاقة بالمعنى اللغوي في معاجم العربية.

خلاصة القول:

على وفق ما تراكم لدينا من معانٍ ودلالات للمفارقة مجملين إياها في المفهوم الذي نرجو أن يغدو جامعاً مانعاً وفحواه : " هي أسلوب بلاغي عالي التقنية ، أساسه عرض وجهتي نظر متعادلتين متعارضتين متضادتين ، بين مفهوم عام شائع وآخر ذاتي فكري ، وكلما اشتد التضاد بينهما برزت المفارقة ، مما يضفي الوضوح والإيجاز والجمالية على النص الأدبي عامة والشعري خاصة من جهة، وما تؤديه من دلالات أو معان عدة من جهة أخرى، شرط أنَّ تستفز ذهن القارئ وتحفزه لتجاوز المعنى الظاهر إلى المعنى المقصود للشاعر " . فالمفارقة تحتاج إلى ذهن متوقد وروح ذكية من الأديب أو الشاعر والمتلقي على السواء ، حتَّى يُحال النص إلى شلال من الحيوية المتدفقة على المستويين الفكري والفني، وبذلك يمتلئ النص بالإثارة والمتعة والإفادة والاستجابة لدى المتلقي.

كما يتضح لنا أن المفارقة ظاهرة أدبية عرفتها ملاحم الشعوب القديمة على اختلافها ، وهي قديمة قِدَم قدرة الإنسان على إبداع الفن وتذوقه. شعراً ونثراً.

الإحالات:

1. الفراهيدي ،كتاب العين ، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي :ج 5/ص147.
2. سورة آل عمران : الآية 3-4.
3. سورة الأنفال : الآية 29.
4. سورة المرسلات : الآية 4.
5. ابن دريد ،جمهرة اللغة ، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيدر أباد ، الدكن – 1345 هـ ، دار صادر ، بيروت د. ت ، (الراء والفاء).
6. سورة الأنبياء : الآية 48.
7. سورة الأنفال : الآية 41.
8. الإمام الرازي ،مختار الصحاح : دار الرسالة ، الكويت – 1983 م ، (فرق).
9. ابن منظور(711 هـ) ، لسان العرب، دار صادر ، الطبعة الثانية ، بيروت د ت.(فرق).
10. المعجم الوسيط، إخراج الدكتور إبراهيم أنيس وآخرين ، وبإشراف حسن علي عطية ومحمد شوقي أمين الطبعة الثانية :ج 2/ ص685.
11. سورة المائدة : الآية 25.
12. الرازي ،مختار الصحاح : (فرق).
13. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين : تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون :ج 1 / ص89 .
14. ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار ، المؤسسة المصرية للطباعة – 1963 م .ص 119 ، 120 .
15. ابن المعتز ،البديع اعتنى بنشره والتعليق عليه اغناطيوس كراتشقوفسكي ، دار الحكمة ، دمشق ، د . ت ، دار الحكمة : دمشق : ص4 .
16. دي. سي. ميويك ،المفارقة وصفاتها ، ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة ، موسوعة المصطلح النقدي ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد – 1987 م .ص 59 .
17. خالد سليمان ،المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق : دار الشروق ، الطبعة 1، عمان – 1999 م .ص 17 .
18. ينظر : دي. سي. ميويك ،المفارقة وصفاتها : ص33 ، 34 .
19. ابن المعتز ،البديع : ص45 ، 46 .

20. ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد : مكتبة السعادة ، الطبعة الثالثة ، مصر – 1963 م . ج1 / ص304 .
21. شعر زهير بن أبي سلمى. تحقيق فخر الدين قباوة: مطبعة حليا ، الطبعة الأولى ، دمشق – 1970 .ص 132
22. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : ج2 / ص66 .
23. ينظر : المفارقة وصفاتها : دي. سي. ميويك : ص27 .
24. الإمام عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة في علم البيان : علق عليه محمد رشيد رضا ، دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة – د . ت : ص82 .
25. د. خالد سليمان ،المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق :ص 17 .
26. ابن الأثير ،المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : تحقيق أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ،مطبعة نهضة مصر ، الطبعة الأولى القاهرة – 1960 م :ص 57 .
27. سورة الأنبياء : آية (62 – 63) .
28. ابن الأثير ،المثل السائر في مثل الكاتب والشاعر :ج 2 / ص72 .
29. ينظر : دي. سي. ميويك ،المفارقة وصفاتها : ص63 .
30. المصدر نفسه : ص17 .
31. ابن أبي الإصبع المصري (654هـ) ،تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن : تحقيق حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة – 1383 هـ . ص : 135 .
32. الدكتورة نبيلة إبراهيم ، المفارقة : مجلة فصول : مج 7 ، ع 3 – 4 ، 1987م ،ص : 132 .
33. المرجع نفسه :ص 138 .
34. د. عبد العزيز الأهواني ،ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، مكتبة ألا نجلو المصرية ، القاهرة –1962م ص : 105 .
35. المرجع نفسه :ص 107 .
36. د. عبد الله الغذامي، تشريح النص ، مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة : دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان – 1987م ص: 80 .
37. ينظر : د. مصطفى السعداني ،البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف بالإسكندرية: ص213 .
38. ينظر : د. محمد لطفي اليوسفي ،بنية الشعر العربي المعاصر : دار سراس للنشر : تونس–1985 ص: 29 ، 30 .
39. ينظر : الدكتور عبد الهادي خضير، المفارقة في شعر المتنبي : مجلة كلية التربية للبنات – جامعة بغداد : ع 11 / 3 – 2000 ، والمفارقة في شعر ايليا أبي ماضي : مجلة لغة الضاد : المجمع العلمي العراقي : ج 2 – 1999 م ص10.
40. الدكتور عبد الهادي خضير ،المفارقة في شعر المتنبي : ص91 .
41. ينظر : سيزا قاسم ،المفارقة في القص العربي المعاصر : مجلة فصول : مج 2 – 24 – 1982 : ص143 .
42. د. احمد إسماعيل النعيمي ،المفارقة ، موضوعاً شعرياً قبل الإسلام : مجلة كلية التربية للبنات، العدد 2 ، سنة 2002، بغداد : ص2 .
43. د. أحمد النعيمي ،المفارقة ، موضوعاً شعرياً قبل الإسلام : ، ص2 .
44. ينظر : د. خالد سليمان ،المفارقة والأدب دراسات في النظرية والتطبيق ، ص17.
45. قيس فالح ، المفارقة في شعر الرواد : رسالة ماجستير : كلية التربية – مستنصرية : 1994م ،ص 7 .
46. محمد ونان جاسم ، المفارقة في القصص الستيني العراقي : رسالة ماجستير : كلية التربية – مستنصرية : 2000 م/ ص1
47. ينظر: إلهام مكي عبد الكريم ،المفارقة في الشعر العربي المهجري الشمالي – شعر الرابطة القلمية أنموذجا : رسالة ماجستير :كلية التربية للبنات – جامعة بغداد : 2001 م ص: 30 .
48. ينظر: المرجع نفسه ص: 27 .
49. دي. سي. ميويك ،موسوعة المصطلح النقدي ، المفارقة وصفاتها : ص5 .
50. – المصدر نفسه ، ص16.
51. – المصدر نفسه ، ص 18.
52. – المصدر نفسه ، ص 18.

53. دي. سي. ميويك، المفارقة وصفاتها : ص 16 .
54. المصدر نفسه : ص 33 ، 34 .
55. المصدر نفسه :ص 19 .
56. المصدر نفسه : ص61 .
57. المصدر نفسه :ص 63 .

المصدر نفسه: ص38 ، **44**